الامة واحدة فاختلفوا اوقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث النبيين فاختلفوا
عليهم فالاول الوجه قال العلامة التفتازاني لدلالة الآية والقراءة عليه ولكون الاتفاق
على الايمان كما في اول زمن آدم واخر زمن نوح معدرا محققا بخلاف الاتفاق على الكفر
او لكون الآية والقراءة دالة على كونهم كانوا متفقين على الحق فيه خفاء اذ يمكن كون الناس
كفارا على دين واحد باطل ثم صاروا مختلفين في اديانهم الباطلة فبعث الله النبيين
فيحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بان يبطلوا اديانهم الباطلة والجواب عنه انه لو كان كذلك
الاولى النعت قبل الاختلاف وعبارة المصنف خالية عن الاشعار بالتوضيح الذي ذكره صاحب
الكشاف ولا بد منه يريد به الجنس الخ رد على الكشاف حيث قال اومع كل واحد
منهم كتابه قال العلامة الطيبي هذا الكلام ايضا صحيح لان النبيين من عام مخصوص لتقييد
بقوله وانزل معهم الكتاب بالمشهورين الذين انزل معهم الكتاب او يمكن ايضا ان يقال
ان النبيين على العموم ونسبة انزال الكتاب تغليب فان بعضهم انزل عليهم الكتاب والبعض الآخر
تابع لهم تغليب الاول على الثاني ونظير ذلك كثير فيما اختلف فيه في الحق او الكتاب
قال قيل قوله فيما اختلف فيه يدل على ان بعض الناس محق وبعضه مبطل والتعبير المذكور
يدل على ان كلهم مبطل الا انه افاد ان الاختلاف لا يكون الا من الذين اوتوا الكتاب بغيا
بينهم قلنا كون الاختلاف بسبب البغي لا يستلزم ان يكون كلهم على الباطل بل يجوز ان يكون
بعضهم على الحق لكن مخالفة بعضهم الحق يكون بسعي فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف
سببا لاستحكامه هذا يدل على ما اختلف بمعنى استحكم واستمر اختلافهم وانما فسر بذلك
لان الكلام السابق وهو ان التقدير فاختلفوا فبعث الله النبيين يدل على ان
الاختلاف قبل بعث النبي وقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات يدل على تأخر الاختلاف ومعنى الهمزة فيه الانكار قال صاحب الكشاف
الهمزة للتقرير والانكار وكلام المصنف احسن اذ لا فائدة في الحمل على التقرير ان الحمل على الانوار

على الانوار على ما صرح به العلامة التفتازاني بل المراد انكار ذلك الحسبان
الآية الا ان تعالى نسبة اليه مع انه لا ينبغي ان يكون ذلك الحسبان الآية الا ان
تعالى نسبه اليه صلى الله عليه وسلم على سبيل التغليب كما قالوا في قوله
او لتعودن في ملتنا ان نسبة العود الى الكفر الى شعيب عليه السلام
على التغليب قال العلامة الطيبي اراد صاحب الكشاف ان المخاطبين بقوله
ام حسبتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجب ان يكون وجود الحسبان
منهم لان التقرير والانكار والاستبعاد يقتضي ذلك وكان كذلك لما روينا
عن البخاري وابي داود والنسائي عن الخباب بن الارت قال
شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد لقينا من المشركين شدة
فقلنا الا تستنصر لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض
ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين فيمشط بامشاط
الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه اقول فظهر
ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبون بذلك وذلك يقتضي وجود
الحسبان منهم فان الحديث صريح في ان ذلك الحسبان
للاصحاب لا للنبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان صاحب
الكشاف صرح بان في هذه الآية التفاتا ولا يخفى وجه تركه
المصنف وتوجيه الالتفات على ما ذكره العلامة الطيبي
ان قوله تعالى كان الناس امة واحدة الآية كلام مشتمل
على ما ذكر اختلاف الامم السابقة والقرون الخالية
وعلى من بعث اليهم من الانبياء وما لقوا منهم من الشدائد

Copyright © King Saud University